بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بنا لان الارض بارزة قاع
صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جا في الحديث يحشرون حفاة
عراة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه
منهم شيء فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى
لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم
صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله
تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى
قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بارض
بيضا كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى الاية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب
لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتايج ذلك وهو ان تجزى كل نفس ما
كسبت وان الظلم مامون لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله
في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل
الجنة الا فيها واهل النار الا فيها الازفة القيامة سميت لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد يوم الازفة
وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق
بحناجرهم فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا
كما قال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو
حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان
يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم
جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال
فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون حالا من قوله
وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين الحميم المحب
المشفق والمطاع مجاز عن المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر فانها لا تكون الا
لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو يحتمل
نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه
مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي
الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبيل ان الشفعاء هم اولياء الله
واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين

فلا يحبونهم

٢٥١

فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار
وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا لمن ارتضى في زيادة التفضل واهل
التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله
لا يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر
هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف
مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة
لتوهم الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه
وما معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب
والمحاربة كانه يقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك
قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والا
على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر
الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية
بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريبة ولا يحسن
ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم
اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل
يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم
التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه
صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين لا يقضون بشيء
وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه لا يقضي او لا يقضي ان الله
هو السميع البصير تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع
ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه
وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء هم في كانوا اشد منهم فصل
فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير
معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام فاجري
مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام واثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم
وما يوصف بالشدة من اثارهم او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان
مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين
سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قبل الانبا واستحيا النسا
من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بزوال ملكهم على يده قلت

مطلب اولم يسيروا في الارض

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)